

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية
المرحلة الثالثة

النثر في العصر العباسي الأول

المادة: النثر العباسي

تدريسي المادة

م.د. امانى كنعان خضير

زادت العناية بالنثر منذ انبثاق الإسلام وقيام الدولة الجديدة في زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأخذ يتطور في عهد الخلفاء الراشدين ثم دولة بني أمية وبدأ كثير من الكتاب بتجويد الكتابة واتقانها وقد مالت الكتابة في العهد الأموي إلى التتويع والتوسع في المعاني، والتأنق في صياغة الجمل وبرز ذلك واضحا عند عبد الحميد بن يحيى (ت ١٣٢هـ) كاتب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، وقد أجمع النقاد والمؤرخون على أنه واضع اسس الكتابة الفنية الأول في النثر العربي .

ولما قامت الدولة العباسية عظم شأن الكتابة وأصبح للكتاب مقام محمود لدى الخلفاء والوزراء والولاة وكان الكتاب في العصر العباسي مثقفين ثقافة عالية ، ويحفظون القرآن الكريم ، وشيئا كبيرا من الحديث النبوي وكلام البلغاء والخلفاء وقصائد كبار الشعراء .

أساليب الكتاب :

سلك الكتاب اسلوبين في كتاباتهم :

الاول : الاسلوب السهل المرسل الذي يتميز بالوضوح والقصد في الألفاظ بقدر ما يتطلبه المعنى، ورائد هذا الأسلوب ابن المقفع .

الثاني: هو اسلوب التأنق واستيفاء المعنى باستقصاء اجزائه وتقطيع الكلام إلى فقر مرسلة ومسجعة والاستطراد إلى الأخبار والنوادر والتراجم والشواهد الشعرية ونجد ذلك جليا في اسلوب الجاحظ .

الفنون النثرية

أولا : الرسائل

فن نثري تطور بشكل ملحوظ بعد الانفتاح على الأمم الأخرى والتمازج الحضاري الذي شمل مختلف العلوم عامة وارتعن بتطور العصر، وتداخل الحضارات ، وأصبح

يزاحم الشعر بعد تعدد موضوعاته وشموله للعلوم الشائعة انذاك فأصبح ايسر وأوسع للتعبير بعيدا عن الوزن والقافية التي كانت تقيد الأدباء والكتاب عامة.

يمكن تقسيم الرسائل النثرية على نوعين:

١- الرسائل الديوانية أو المكاتبات الرسمية :

وهي التي تصدر عن الخلفاء والوزراء والولاة بأقلام المتخصصين من الكتاب وتكون بليغة ذات ألفاظ سهلة ومخارج عذبة ،وقد تميل للشرح والتفصيل أو مختصرة موجزة . ومنها ما كتبه طاهر بن الحسين إلى الخليفة المأمون بعد مقتل علي بن عيسى بن ماهان " كتابي إلى أمير المؤمنين، ورأس علي بن عيسى بن ماهان بين يدي، وخاتمه في يدي وعسكره مصرف تحت أمري. والسلام ".

٢- الرسائل الإخوانية :

وهي التي يتبادلها الأصدقاء فيما بينهم في شتى المناسبات، وتتميز بحسن الصياغة وجمال الأسلوب مسندة بآيات قرآنية وأحاديث نبوية وأشعار وحكم وأمثال . ومن تلك الرسائل رسالة كلثوم بن عمرو العتابي كتبها الى أحد أصدقائه يسأله مواصلة مودته بعد جفوة وقطيعة يقول فيها : " لواعتصم شوقي اليك بمثلك سلوك عني لم أبذل وجه الرغبة اليك ، ولم أتجشم مرارة تماديك ولكن استخفتنا صبابتنا فاحتملنا قسوتك ،لعظيم قدر مودتك وأنت أحق من اقتص لصلتنا من جفائه ولشوقنا من ابطائه " .

ثانيا : الخطابة

ازدهرت الخطابة في عهد الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين وبلغت القمة في عهد بني أمية لتوفر دواعيها الدينية و الاجتماعية السياسية وظلت رائجة في العصر العباسي الأول تدعو الناس للدولة الجديدة واشتهر الخلفية الأول أبو العباس السفاح بالخطابة

والتأثير في الناس ،وبرز عدد من ولاة الدولة العباسية وقوادها بالخطابة وتتنوع الخطابة بحسب الموضوع الذي تضمنته فبرزت الخطابة (السياسية والدينية والجهادية والحفلية) وتميزت الخطب الدينية بالوعظ والنصح ،وتلقى في الغالب أيام الجمع والأعياد،وشارك عدد من الخلفاء ومنهم الخليفة ابو العباس السفاح حين بويع بالخلافة : " الحمد لله الذي اصطفى الاسلام لنفسه وكرّمه وشرفه وعظمه ، واختاره لنا ، وأيده بنا ،وجعلنا أهله وكهفه ، وحصنه والقوام به والذابّين عنه ، والنّاصرين له ، وخصّنا برحم رسول الله صلى الله عليه واله ، وأنبتنا من شجرته واشتقنا من نبعته ، وأنزل بذلك كتابا يتلى ، فقال سبحانه : ((قل لأسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى)) " .

أما الخطب الحربية فأخذت طابع الاستنهاض وشحذ الهمم وبذل النفوس،وهناك الخطب الحفلية التي تلقى بالأعياد والبيعة والمآتم والمواسم والوفود.

ثالثا : القصص

احد الفنون النثرية الي برزت في العصر العباسي وزاد الإقبال عليها إذ كانت تدور على ألسنة الطير والحيوان مثل كتاب كليله ودمنة الذي نقله إلى العربية عبدالله بن المقفع صور فيه الحيوانات وهي تفكر وتدبر وكيفية استخلاص العبر من ذلك ،ولسهل بن هارون كتابان على شاكلة كليله ودمنة هما "ثعلب وعفراء والنمر والثعلب".

وكانت مجالس الوعظ والإرشاد تميل إلى القصص الديني ؛ لاسيما في تفسير القرآن الكريم ومن القصاص موسى بن سيار الاسواري، وبرزت الحكايات التاريخية التي أخذت طابع السرد المباشر، وهناك نوادر ظريفة وحيل طريفة ونقل لنا علي بن سهل الطبري طائفة منها في كتابه فردوس الحكمة.

رابعاً : التوقيعات

وهي الهوامش أو الملاحظات التي يكتبها الخلفاء والوزراء والولاة والقضاة على الكتب الرسمية أو الشكاوى المرفوعة إليهم من أفراد الشعب.

وتمتاز بجمال الأسلوب والايجاز الشديد والبلاغة المتقنة ،وحوى العقد الفريد لابن عبد ربه مجموعة كبيرة من تلك التوقيعات ومن ذلك توقيع الخليفة السفاح لجماعة من بطانته يشتكون احتباس ارزاقهم يقول: "من صبر في الشدة شارك في النعمة". وتوقيع الخليفة المنصور على كتاب يخبره أن جندا شغبوا عليه وكسروا أقفال بيت المال فأخذوا ارزاقهم: " لو عدلت لم يشغبوا ولو وفيت لم ينهبوا "

شاعت التوقيعات بين الناس تناقلوها وحفظوها ، واشتهر جعفر بن يحيى بها ، والفضل بن سهل ذو الرياستين بتوقيعاته البليغة مثل قوله: "كفى بالله للمظلوم ناصراً"

خامساً: نثر المؤلفات أو المصنفات

نشط العلماء والأدباء في التأليف وتدوين العلوم في العصر العباسي، وبرز عدد كبير من المصنفين في ١- مجال الأدب ومنهم الجاحظ ومن أبرز مؤلفاته البيان والتبيين والحيوان، وابن سلام الجمحي صاحب طبقات فحول الشعراء ، والمبرد صاحب كتاب الكامل، ٢- ونشطت الدراسات اللغوية وبرز سيبويه والكسائي والفراء وغيرهم كثير .

اتجه عدد من المؤلفين إلى ٣- المغازي والسير، ويعد محمد بن إسحاق شيخ المصنفين له السيرة المشهورة التي استخرجها الإمام أبو محمد عبد الملك بن هشام وعرفت به وشاع ذكره بها.

٤- وفي التاريخ اشتهر هشام بن محمد الكلبي صاحب كتاب الأصنام وجمهرة أنساب العرب.

٥- وفي الجغرافية ازدهرت المؤلفات التي تناولت البلدان والمواقع وأحوال السكان، مثل كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة والبلدان لليعقوبي وغيرها.

أقبل العلماء على ٦- القرآن الكريم فشرحوه وفصلوا في قراءاته واطهروا اعجازه وناسخه ومنسوخه ، ويعد تفسير أبي جعفر محمد بن جرير الطبري من أشهر التفاسير ، وذهب بعضهم إلى ٧- الأحاديث النبوية الشريفة وجمعوها ووثقوها وبرزهم أصحاب الصحاح الستة، البخاري ومسلم وابن ماجه وأبو داود والترمذي والنسائي.

وتخصص عدد كبير من العلماء ٨- بالفقه والشريعة

٩- وكان لعلم الكلام نصيب من المؤلفات، وكان المعتزلة أنشط الجماعات في هذا المجال ومنهم واصل بن عطاء، وتميزت الكتابة عامة بدقة المأخذ وبساطة العرض بعكس الأسلوب الشائع من صنعة وتكلف آنذاك.

سادسا : النثر المترجم

أقبل المترجمون الذين يحسنون أكثر من لغة الى نقل عدد من الكتب في مختلف المجالات إلى العربية ومنها الطب والفلك والفلسفة والرياضيات والسياسة وغيرها وخصصت مراكز خاصة لهذه الترجمة أمثال حران والرها ونصيبين؛ وكان لتشجيع الخلفاء دور كبير في ازدهار حركة الترجمة والإقبال عليها ، إذ خصصوا الأموال الطائلة لها وبعثوا بالمترجمين الماهرين لجلب الكتب النافعة من مواطنها، ويعد الخليفة أبو جعفر المنصور من أوائل الخلفاء المشجعين على الترجمة، وكان هارون الرشيد قد أنشأ دار الحكمة وهو مركزا للترجمة ، ووصلت الترجمة في عهد الخليفة المأمون عصرها الذهبي ، ويعد كتاب *كليلة ودمنة* من أكثر الكتب المترجمة تداولاً في العصر العباسي ؛ لسهولة ترجمته وأسلوبه اللطيف.